

(أسباب النصر في القرآن الكريم)

م م .إنعام لفته خزعل عداي الساعدي

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة قسم الفكر الإسلامي والعقيدة

Email:inaamlafta@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النصر، الفضل الإلهي، صفات القائد، العقيدة، أسباب انتصار النبي محمد(ص))

الملخص :

خلاصة بحثي المتواضع هذا جملة اشياء اذكر منها ان السبب هو ما يتوصل به الى غيره والوسيلة التي توصلنا الى غاياتنا واهدافنا ، والنصر هو احراز الفوز ودحر الاعداء مادياً كان أم معنوياً ، والله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب وهو وحده سبحانه القادر على نصره المظلوم عن طريق تهيئة جملة من الاسباب وهناك جملة من الامور والحقائق وردت في القرآن الكريم تعد من أسباب النصر منها ان الله يرسل الملائكة للقتال بين يدي السلمين والإمداد المعنوي والروحي للمؤمنين كتكثير جيش المسلمين المقاتل في نفوس المشركين وإضعاف الأخير في نفوس المسلمين وارسال النعاس امنة منه تعالى الى صفوف جيش المسلمين لتطمئن قلوبهم ويذهب عنهم الخوف والوسواس ويجهزوا بكرّة لمقاتلة الأعداء المشركين وهم بكل قواهم، وغيرها من الحقائق القرآنية الخالدة ، ولا يمكن التغافل عن حقيقة مهمة وهي قيادة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الحكيمة والفذة ، واخلاقه العظيمة هذا مما جعل المسلمون يلتفوا حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، وادارة جيش المسلمين ووضع الخطط الناجحة ومشاركته بشخصه الكريم في ميدان المعارك وتفانيه في جميع الغزوات في سبيل تحقيق النصر واعلاء كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

Reasons for Victory in the Holy Quran

Ana'am Laftah khaza'al Al-Saedy

Imam Al - Kadhum College of Islamic Sciences

Islamic Thought and Doctrine Section

Department of Islamic Thought and Doctrine

Email:inaamlafta@gmail.com

**Key words:(victory,creed,qualities of a leader,divine
virtue,reasons for the victory of the probhet)**

Abstract

The research tackles the reasons of achieving t victory in the Holy Qur'an and paves the way for blessed verses that deal with the origin of this work in the Holy Quran. Then it presents the truth of victory in the Holy Quran, its types and functions, and the factors that led to it. The research is concluded with an attempt to discover what is closer to the spirit of the Quranic research . This was manifested in the launch of the fact that the Holy Qur'an is a statement of everything, and then the research mention the truth of the angels and whether they actually fought with the believers and their role was a moral one. Then the research mentioned a number of opinions of ancient and modern commentators on this theory - the reasons of victory – and is concluded with the fact that it is a color of the miracles that the Arabs and Ajaj failed to bring.

التمهيد : تعريف الاسباب والنصر لغة واصطلاحا

أولا : السبب في اللغة

عرف الفراهيدي السبب قائلاً : الحبل. والسبب: كل ما تسببت به من رحم أو يد أو دين. والسبب: سبب الأمر الذي يوصل به، وكل فصل يوصل بشيء فهو سبب. والسبب: الطريق لأنك تصل به الى ما تريد^(١).

وزاد على ذلك ابن منظور بقوله: والجمع أسباب؛ وكل شيء يتوصل به إلى الشيء، فهو سبب. وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ البقرة: ١٦٦ والله، عز وجل، مسبب الأسباب، وقوله عز وجل: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ غافر: ٣٦-٣٧ قال: هي أبوابها. والسبب: الحبل، في لغة هذيل؛ وقيل: السبب الوتد، وقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ الحج: ١٥ معناه: من كان يظن أن لن ينصر الله، سبحانه، محمداً، (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى يظهره على الدين كله، فليمت غيظاً، وهو قوله تعالى: فليمدد بسبب إلى السماء، والسبب: الحبل. والسماء: السقف؛ أي فليمدد حبلاً في سقفه، ثم ليقطع، أي ليمد الحبل حتى ينقطع، فيموت مختنقاً^(٢).

اما تعريف النصر في اللغة هو: إعانة المظلوم؛ نصره على عدوه ينصره ونصره ينصره نصراً، وقد ورد ذلك روائياً: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)^(٣)، وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالماً، وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه، والاسم النصرة؛ والنصير: الناصر؛ قال الله تعالى: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٤)، والجمع أنصار مثل شريف وأشراف. والأنصار: أنصار النبي، (ص)، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع فقيل أنصاري. والنصرة: حسن المعونة. وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه. وقيل: يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه: انتقم. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾^(٥)، وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٦)، والاستنصار: استمداد النصر. واستنصره على عدوه أي سأل أن ينصره عليه^(٧).

ثانياً: تعريف الاسباب والنصر في الاصطلاح

السبب : عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، وله أقسام :

السبب التام: هو الذي يوجد المسبب بوجوده فقط.

السبب غير التام: هو الذي يتوقف وجود المسبب عليه، لكن لا يوجد المسبب بوجوده فقط^(٨).

النصر والنصرة: العون. والنصارى سموا به نسبة لقرية تسمى نصران^(٩).

النصر: هو أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر^(١٠).

يتضح جلياً مما تقدم أن السبب هو الشيء الذي يتوصل به إلى غيره أو هو الطريق للوصول إلى المراد بما أن المراد هو النصر فإذا اسباب النصر هي الأمور التي من خلالها يمكن التوصل إلى إحراز النصر، والنصر هو دحر العدو سواء أكان هذا النصر مادياً أم معنوياً.

المبحث الأول : (النصر من عند الله سبحانه)

المطلب الأول: مفهوم النصر

إن أكثر الناس ضحية المقاييس المحدودة في تقييم مفهوم النصر ، إذ يعدّون الانتصار يتمثل فقط في قدرة الإنسان على دحر عدوه ، أو السيطرة على الحكم لمدة وجيزة ! إن مثل هؤلاء لا يرون أي اعتبار لانتصار الهدف وتقدم الغاية ، أو تفوق وانتشار المذهب والفكرة ، هؤلاء لا يعرفون حقيقة وقضية الذي بذل نفسه في سبيل إعلاء كلمة الحق ولا يفهمون ايضاً معنى القيمة الكبيرة التي تنتج عن اراقه الدماء وبالتالي تظهر العزة والكرامة التي نادى بها اصحاب الرايات الالهية هذا التقييم المحدود يجعل من العسير الجواب على ذلك الاشكال ، أما الانطلاق إلى أفق المعاني الواسعة الوضاعة لمفهوم الانتصار الالهي وهذا ما أكده المفكر الاسلامي سيد قطب في حديثه عن بطل من أبطال الاسلام ألا وهو شهيد كربلاء الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) كنموذج رائع لمفهوم النصر فيقول : " . . . والامام الحسين عليه السلام وهو يبذل نفسه في هذه الصورة العظيمة من جانب ، والمفجعة من جانب آخر الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة . فأما حقيقة القول فإنه نصر خالص والشهيد في الأرض تهتز له الجوانح بالحب والعطف وتهفو له القلوب وتحبش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه ، يستوي فيه الناس على حد سواء " ^(١١) . وينبغي الاضافة إلى أن اتباع اهل البيت يرون آثار الخير من حياة سيد الشهداء الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) .

المطلب الثاني: أنواع النصر ومراتبه :

والنصر من الله سبحانه على أنواع ، منها: النصر على الأعداء بالقتال وقوة السلاح ، كانتصار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على عتاة الكفر والظلم من قريش وغيرهم ، ومنها النصر بعذاب من السماء كالخسف والطوفان والريح العاتية ، ومنها النصر بقوة الحجة والبرهان عند

نقاش الخصم وجداله ، ومنها النصر بعلو الشأن وخلود الذكر في الدنيا ، ومنها النصر في الآخرة يوم تسود وجوه وتبيض وجوه^(١٢) ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(١٣) .
وتختلف مراتب النصر باختلاف الموارد والأشخاص ، فإن مفهوم النصر من الأفراد وفي مواردها مختلفة ، فنصر الله عز وجل وعونه أشد مراتب النصر وأقوى وأتم ، ثم النصر من الأنبياء الهادين والأئمة حجج الله على الناس أجمعين ، ثم من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، ثم من الآباء - المؤمنين المتقين ، ثم من الأصدقاء الاخوان في الله رب العالمين^(١٤) .

المطلب الثالث : النصر والعقيدة

ينبغي علينا أن نرجع قليلاً ونعرف معنى القيم قبل أن نريد جواباً بقولنا: أين وعد الله لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا! على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة. لقد انتصر النبي (ص) في حياته. لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية.
التحم شكل النصر القريب بشكل آخر أبعد منه حتى أصبحت هذه الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية. على وفق تقدير الله وترتيبه.

وهناك اعتبار آخر تحسن مراعاته كذلك. إن وعد الله قائم لرسله وللذين آمنوا. ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها. وحقيقة الإيمان كثيراً ما يتجاوز الناس فيها^(١٥). وإن الأخيار من المؤمنين يلمسون آثار استشهاد الحسين (عليه السلام) واستشهاد صحبه البررة من أهل بيته وأصحابه ، وإن مجالس العزاء التي تقام للحديث عن مناقب الحسين وصحبه هم ينباع الرحمة الكبيرة التي كانت وما زالت تعطينا من ثمارها حتى رأينا ذلك بأعيننا ومن خلال النموذج الثوري الذي شهدته أرض إيران المسلمة ، كيف استطاع الملايين من أبناء الإسلام أن يتحركوا في أيام عاشوراء للقضاء على الظلم والطغيان والاستكبار . لقد شاهدنا بأعيننا كيف استطاع هذا الجيل المضحي الذي تربى في مدرسة أبي الشهداء الحسين (عليه السلام) وتغذى مما تدره مجالس عزائه ، أن يحطم بأيدي خالية عرش أقوى السلاطين الجبارين^(١٦) .

واتضح مما تقدمك أن هذه الاجيال المضحية التي تربت في مدرسة سيد شباب اهل الجنة وتغذت في مجالسه استطاعت ان تحطم اقوى الدول الجبارة وقد شاهدنا ذلك دم الحسين (عليه

السلام) كيف سار في عروق الشباب ؟ واعطاهم عزة وكرامة وغير كل التقديرات العسكرية حتى كان وما زال ذلك الدم منتصراً واثاره واضحة منذ أكثر من اربعة عشر قرناً.

المطلب الرابع : نصر الله المؤمنين

عودنا القرآن الكريم على انسجام آياته الكريمة مع الحياة العامة فقد جاءت هذه الآيات المذكورة آنفاً لتؤكد على أن النصر من عند الله سبحانه . قال تعالى :

١- ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٧).

٢- ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١٨). وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٩) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠).

٣- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢١).

قال الطوسي في تبيانه : وقوله : " وما النصر إلا من عند الله " معناه أن الحاجة لازمة في المعونة وان أمدهم بالملائكة فإنهم لا يستغنون عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبهم وخذلان عدوهم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك من الأمور التي لا قوام لهم إلا بها ولا متكل لهم إلا عليها . فان قيل : كيف قال " وما النصر إلا من عند الله " وقد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً وبعض المشركين بعضاً ؟ قلنا : لان نصر بعض المؤمنين بعضاً من الله لأنه بمعونته وحسن توفيقه ، وأما نصر المشركين بعضهم ، لبعض ، فلا يعتد به ، لأنه بعيد عن الله ، و ان عاقبته إلى شر مآل من العقاب الدائم (٢٢). فالنصر من عند الله لا من العدة والعدد وفيه تنبيه أنه لا حاجة إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم بشاره لهم وربطاً على قلوبهم من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر حث على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في أقضيته فهو سبحانه القاضي .

المبحث الثاني: (الفضل الإلهي)

المطلب الأول: دور القرآن الكريم

جاء القرآن الكريم في طائفة من آياته ليؤكد المدد الرباني بقوله :

١ - ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٢٣).

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَأَنفُوا فِتْنَةً لِّأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَادْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٤).

قال الطوسي في تبيانه: (خبر الله تعالى عن حال أهل بدر أنهم لقلة عددهم استغاثوا بالله والتجأوا إليه فأردفهم سبحانه وتعالى بمجموعة من الملائكة هم رحمة لهم وشوكة في عيون المشركين حتى بان النصر في صدورهم) (٢٥).

وقال الفيض الكاشاني في وصف الملائكة المردفين: (عليهم ثياب بيض وعمائم بيض ، قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم) (٢٦).

ولعل هذا العدد الكثير من الملائكة وبهذا الوصف هو المدد الإلهي نفسه الذي طالما تقف السماء مع أنبيائها وأتباعهم من أجل تحقيق النصر وإحقاق الحق .

المطلب الثاني : الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) سبياً للنصر

قاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمان وعشرين غزوة (٢٧) خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ، إذ خرج الى غزوة (ودان) وهي أول غزوة قادها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة ، إذ خرج الى غزوة (ودان) وهي أول غزوة قادها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه في صفر من السنة الثانية الهجرية، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته في رجب من

السنة الثامنة الهجرية، وقد نشب القتال بين المسلمين بقيادته، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات وهي:

بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، بينما فر المشركون في تسع عشرة غزوة منها من دون قتال.

ومع ذلك لم يخفق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أية معركة خاضها المسلمون بقيادته، حتى غزوة (أحد) لم تكن اندحارا للمسلمين من الناحية العسكرية.

ولو كان غير الرسول (ص) هو القائد في معركة (أحد) فهل كانت ستؤدي نتائجها إلى خلاص المسلمين من الموقف الخطير الذي أحاط بهم من كل مكان؟ بل لو لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائد في معركة (بدر) و (الخندق) و (حنين)، فهل كان ينتصر المسلمون في كل تلك الغزوات؟.

وإن الذي يدرس بإمعان غزوات (بدر) و (أحد) و (الخندق) و (حنين) ويطلع على موقف الطرفين: المسلمين والمشركين، ويدقق في تطور المعركة، يجد بوضوح الأثر الشخصي الفعال لقيادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للمسلمين، ذلك الأثر الشخصي الحاسم لو لم يكن المسيطر الأول على سير القتال، لتبدل وجه التاريخ الإسلامي عما هو معروف به الآن!.

المطلب الثالث: أسباب انتصار النبي (ص).

إن انتصار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يرجع الى عاملين: العامل الأول : تأييد الله تعالى له بنصره المبين. والعامل الثاني : أسباب عسكرية فنية، وهذه الأسباب العسكرية تلخص في أربعة أسباب:

- ١- قيادة عبقرية هي قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
- ٢- جنود متميزون هم المسلمون الأولون.
- ٣- حرب عادلة هي حرب المسلمين لأعدائهم.
- ٤- تردي الحالة العسكرية لأعداء المسلمين من العرب المشركين والروم والفرس (٢٨).

المطلب الرابع : صفات القائد

مزايا القائد الشخصية المثالية، كما ينص عليها كتاب: (نظامات الخدمة السفيرية)، وهو من أوثق المصادر العسكرية الحديثة: ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات. ولكي تكون قراراته صحيحة، لا تكفيه الشجاعة الشخصية، ولا الإرادة القوية الثابتة ولا تحمّل المسؤولية بلا تردد، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادئ الحرب، وقادراً

على إبداء الحكم السريع الواضح، وكان صاحب مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة، وأن يكون سابرا غور الطبع البشري، هذا ما نراه في شخصية الحبيب المصطفى.

يتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره، بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطة الضبط.

(فالشخصية القوية، ومعرفة الطبع البشري، وأصالة الرأي الموزون، والتفاهم مع المرؤوسين، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاية العسكرية، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرؤوسيه الأمرين وقطعته، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة).

هذه هي الصفات المثالية للقائد التي ينص عليها كتاب: (نظامات الخدمة السفوية). فضلاً عن كل ذلك بعض المصادر العسكرية الحديثة، ضرورة تحلي القائد بالقابلية البدنية ليستطيع مشاركة قواته في تحمل مشاق القتال.

وهناك من يضيف الى كل تلك المزايا: الماضي الناصع المجيد، فإن الصفات المثالية للقائد ، هي:

١- القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح.

٢- الشجاعة الشخصية والإرادة القوية الثابتة .

٣- تحمل المسؤولية بلا تردد.

٤- معرفة مبادئ الحرب.

٥- نفسيّة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار.

٦- سبق النظر.

٧- معرفة نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم.

٨- ثقة قطعته به وثقته بقطعته.

٩- المحبة المتبادلة بينه وبين قواته

١٠- شخصية قوية نافذة.

١١- قابلية بدنية.

١٢- ماض ناصع مجيد.

هذه هي الصفات المثالية للقائد المتميز، هي نتيجة لدراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ؛ لذلك فهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة، فليس من الممكن أن تتوفر في شخص واحد، هو معروف.

ولكن كل هذه الصفات المثالية قليلة جدا فيما يخص صفات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ هناك صفات أخرى يتحلى بها النبي (ص) لم تتطرق إليها الكتب العسكرية، لأنها صفات يصعب على القادة الاعتياديين التحلي بها، بل هي فوق طاقة البشر بصفة عامة وذوي السلطان منهم بصفة خاصة^(٢٩).

وبفعل هذه الشخصية المتميزة استطاع الحبيب المصطفى أن يوحد أمة كانت قائمة على القتل والنهب والسلب فجعلهم أمة واحدة تهابها الأمم الكبرى كالروم والفرس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣٠).

وقد كان يمتلك قلباً واسعاً وحنوناً على الإنسانية جمعاء لا سيما أصحابه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣١).

ومع هذا القلب الواسع والحنون كان يأمره خالقه باستعمال القوة تجاه الأعداء، - الكفار والمنافقين- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣٢).

المطلب الخامس: الاستعداد للمعركة

إن التهيو لملاقاة العدو والأخذ بحقيقة الأسباب الملموسة امراً ضرورياً وهذا لا ينافي ان يتوكل المؤمن على الله سبحانه وتعالى في الوقت نفسه يؤمن بأنه مأمور بالأخذ بالأسباب، وأخذ الحيطة، والتدابير اللازمة ضد عدوه^(٣٣)، وقد أمر الله عز وجل بذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٣٤).

المبحث الثالث : (المدد الإلهي)

المطلب الأول : القرآن الكريم و المدد الإلهي

جاء هذا الوصف في باقة من آيات الكتاب الكريمة منها قوله تعالى :

١- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (٣٥)

٢- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (٣٦).

وقال السيد هاشم البحراني أرادت قریش بجميع ما تملك ان تخمد نور الله ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ، وخرج أبو جهل من بين الصفين ، وقال : اللهم ، إن محمداً أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفه فأحنه (٣٧) الغداة ، أنزل الله على رسوله : ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَ وَلَنْ نُنْعِي عَنْكُمْ فِئَتَكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨) . ثم أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كفاً من حصى ورمى به في وجوه قریش ، وقال : « شأهت الوجوه » فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قریش ، فكانت الهزيمة . قال الحبيب المصطفى (ص) : (اللهم لا يفلتن فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام ، فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون ، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل ، فضرب عمرو أبا جهل على فخذيه ، وضرب أبو جهل عمرا على يده ، فأبانها من العضد ، فتعلقت بجلدة فاتكأ عمرو على يده برجله ، ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ، ورمى بيده) (٣٩) .

وقال جواد مغنية : قد أخبر سبحانه انه أمر الملائكة أن يثبتوا المؤمنين ، وليس من شك في انهم فعلوا ، لأنهم يفعلون ما يؤمرون ، وأيضا ليس من شك ان المشركين هابوا المسلمين وتخوفوا منهم ، لأن الله وعد بذلك ، ووعد الحق ، وإن المؤمنين انتصروا على المشركين . . هذا كل ما دل عليه ظاهر النص (٤٠) .

المطلب الثاني : أسباب وعوامل النصر والهزيمة

فتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز في بدر وتضحك لهم خلال الأرض والسماء، لأن هذا الظفر المتاح لهم ردّ عليهم الحياة والأمل والكرامة، وخلصهم من أغلال ثقال ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤١) .

وكان من قتل منهم في سبيل الله أربعة عشر رجلاً وفازوا في جنات النعيم التي أعدّها الله لهم جزاءً لما صبروا تلك الدماء من أجل إعلاء كلمة الحق^(٤٢).

ولقد كان نصر الله للمؤمنين في بدر بالقوة المعنوية وحدها، فالتدبير تدبير الله، والنصر بيد الله، والكثرة العددية ليست هي التي تكفل النصر، والعدة المادية ليست هي التي تقرر مصير المعركة. ولقد وضع الله للمؤمنين المواء في دستور هذه القوة التي لا يستغني عنها جيش يحرص على الفوز، وأرشدهم إلى طريق النصر وقانونه.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَأٍ وَرَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٤٣).

هذه عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر الكثير، والطاعة لله والرسول، واطراح النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، وعدم البطر والبغي والعدوان^(٤٤).

ومن أسباب النصر المهمة :

- الايمان بالله عز وجل.

- الاعتماد عليه وحده لا شريك له .

- الشكوى إليه.

- الأخذ بجميع الطرق الموصلة إلى النصر والثقة بالله تعالى .

- الاعتقاد بأن الفوز والنصر منه سبحانه وتعالى^(٤٥).

وفي هذا المقام يتضح قوله سبحانه وتعالى في أول غزوة وهو وتعالى :- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤٦).

ومن اسباب الفشل :

- الاقبال على الدنيا.

- عدم الالتزام بالأوامر الشرعية.

واستبان من ذلك يوم أحد، فقد بدأت المعركة بنصر كبير للمسلمين، وخالف الرماة أمر رسول الله حتى نزل الرماة من الجبل وانقلب النصر الى خذلان وتعجب الصحابة لما أصابهم أنزل الله -

تبارك وتعالى:- ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤٧).

فمخالفة واحدة كان ما كان من تحويل النصر إلى هزيمة؟! نعم، فكيف بنا يا أمة الإسلام؟ وقد فسدت العقيدة، وترك الكثيرون الصلاة، وأكلنا الربا، وتبرجت النساء، وتركنا صلاة الجماعة، إلا من رحم ربي (٤٨).

وجاء مكارم الشيرازي ليدلو دلوه إذ يقول : دروس مفيدة من ساحة المعركة : إن هذه الآيات تتكلم عن الاوقات الحرجة لواقعة بدر والطف الالهي الكبير الذي عم المسلمين لتثير في نفوسهم الإحساس بالطاعة والشكر ، ولتعبيد الدرب نحو انتصارات المستقبل .

وتشير ابتداء لإمداد الملائكة فتقول : وإذ تستغيثون ربكم . جاء في بعض الروايات أن النبي(ص) كان يطلب من الله مع جميع المسلمين الاستغاثة الكاملة ، وقد رفع يديه نحو السماء قائلاً : " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض) . وعند ذلك فاستجاب لكم أي ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وكلمة (مردفين) من (الأرداف) بمعنى جعل الملائكة تتابع بعضها بعضاً في النزول لنصرة المسلمين(٤٩).

المطلب الثالث : قتال الملائكة ؟

لقد جرى البحث في هذه المسألة كثيراً بين المفسرين ، فبعضهم يرى أن الملائكة دخلت ساحة المعركة وقاومت المشركين بالأسلحة النورانية الخاصة بها وجندت جملة من المشركين وهناك قرائن تشير الى هذا الرأي وهذا من عدة وقائع :

١- قرأنا في الآية المباركة : "ولتطمئن قلوبكم " . فإذا ما علم المسلمون بهذا المدد يناصرون المسلمين بوجه اكمل لا المشاركة في القتال .

٢- ان الملائكة هي التي ذبحت جنود المعتدين فأية فضيلة للمجاهدين في معركة بدر وما جاء في هذا المقام احاديث كثيرة.

٣- قد كان من قتل في بدر من المشركين (سبعين نفرأ) وكان اكثرهم قد سقط بسيف الامام علي (عليه السلام) والآخرين بيد المقاتلين المسلمين وهذا القول معروف في كتب التاريخ ثم بينت الآية الكريمة النعمة الثانية للمؤمنين فتقول : إذ يغشاكم النعاس أمانة منه . و (يغشى) من مادة (الغشيان) بمعنى تغطية الشيء وإحاطته . فكأن النوم كالغطاء الذي وضع عليهم فغطاهم (٥٠).

المطلب الرابع : أمراء الجيوش صفاتهم سياساتهم

ويلزم في ذلك مجموعة من الامور يمكن تلخيصها بما يأتي :

أحدها: حراستهم من غرة يظفر بها العدو منهم، وذلك أن يتتبع المكامن ويحيط سوادهم بحرس يحميهم من خواطر العدو وشوكتهم .

والثاني: أن يختار لهم عدة مواضع تؤمن لهم خطورة العدو ليكونوا في اقوى اماكن المراقبة .

والثالث: إعداد ما يحتاج الجيش إليه من زاد وعلوفة تفرق عليهم في وقت الحاجة؛ حتى تسكن بها ارواحهم ويستغنون عن طلب الغير حتى يكونوا الاقدر على مواجهة العدو .

والرابع: ان يتعرف على انباء العدو يقف عليها، ويتصفح أحواله حتى يخبرها، فيسلم من مكره، ويطلب القوة في الهجوم على العدو .

والخامس: تنظيم صفوف العسكر في مواجهة العدو حتى يتمكن ان يراه كفاء لها، ويتفقد حانات الجيش ويعالج الخلل فيها .

والسادس: ان يشد من قلوبهم حتى يشعرون بالفوز وهو من أسباب النصر؛ ليقبل العدو في أعينهم، فيكون عليه أجراً وبالجرأة يتسهل الظفر، قال الله تعالى : (**إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**) ^(٥١).

والسابع: أن يهيا أهل الشدة والقوة منهم بثواب الله ولو بيوم الحساب وبالجزاء والنفل من الغنيمة إن كانوا من أهل الدنيا قال الله تعالى : (**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**) ^(٥٢).

والثامن: أن يستشير أهل الخبرة ويرجع الى اهل الاختصاص فيما اذا أشكل؛ ليأمن الخطأ ويسلم من الزلل، فيكون من الظفر أقرب؛ قال الله تعالى لنبيه: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ ^(٥٣)، ^(٥٤). والظاهر أن الله تعالى قبل القتال قلل المسلمين في أعينهم ليتجروا على العدو ، وقلل المشركين في أعين المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمُ** ﴾ الآية ، وذلك افضل العوامل الفوز للمؤمنين ، والخزي للكافرين ^(٥٥).

فأسباب النصر من الله سبحانه وذلك بأن ألف بين المؤمنين بعد أن كانوا في الجاهلية أعداء ، قال تعالى : (**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**) المتنافرة حتى يكونوا قوة واحدة في وجه الأعداء ، فإن وحدة الكلمة من أهم أسباب النصر ، وقد كانوا قبل الإسلام في أشد حالة من العداوة والبغضاء حتى أنه كان بين الأوس والخزرج عداوة وقتال دام أكثر من مائة سنة ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**

ما أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴿٥٦﴾. فإن المال يزيد العداوة ، فإنه يكون وقوداً لها ، وإنما أزال الله سبحانه الضغائن بتصفية القلوب وتطهير أدران النفوس (وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ) بهدايتهم للإسلام المطهر للعداوة عن الأفئدة (إِنَّهُ) سبحانه (عَزِيزٌ) غالب على أمره ، فإذا أراد شيئاً أوجده (حَكِيمٌ) بحكمته وتدبيره يدبّر الأمور ويديرها (٥٧).

المبحث الرابع: (النصر حليف المظلوم)

المطلب الأول: النصر للمظلوم

أكد الكتاب العزيز على أن النصر حليف من كان مظلوماً ولو مستقبلاً ، قال تعالى :

١ - ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَدَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٥٨).

٢ - قال تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٥٩).

وخير دليل نستدل به على ذلك نصر الله سبحانه وتعالى الجيش العراقي والحشد الشعبي على القوة الداعشية العاتية تلك الهجمة الشرسة التي واجهها أبناء الشعب العراقي الباسل ، بعد الفتوة المباركة التي افتاها المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (حفظه الله ورعاه) وهي فتوى الجهاد الكفائي إذ هب فيها أبطال الشعب العراقي وكان النصر حليفهم والخزي والعار للدواعش الذين تكالبوا على بلدنا الحبيب من كل صوب وناحية واعدوا بكافة الامكانيات من اسلحة متطورة فتاكة، وتدريب ،واموال طائلة، وغير ذلك من الامكانيات .

المطلب الثاني: نصرة المظلوم :

إنّ النظر إلى مسألة وجوب نصرة المظلوم ، إذا انحصر انتصاره بشهادة هذا الشخص ، تعين ما أفتى به الصدوق (رحمه الله) من أنه إذا انحصرت الشهادة به ، فعلم أن صاحب الحق مظلوم ولا يُحيي حقة إلا بشهادته ، وجبت عليه إقامتها ، ولم يحل له كتمانها (٦٠).

ولهذا قال الحبيب المصطفى : - رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (من أخذ للمظلوم من الظالم

كان معي في الجنة مصاحباً) (٦١) . وقال الإمام علي (عليه السلام) : (أحسن العدل نصرة المظلوم) (٦٢) . وفي هذا الخضم قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام ، وما من مؤمن يخذل أخاه

وهو يقدر على نصرته إلا خذله في الدنيا والآخرة^(٦٣). ولعل أحد أهداف بعثة الأنبياء (عليهم السلام) هو نصرته المظلوم ، فإن نصرته المظلوم واجبة في الشارع المقدس !.

وإنه « صلى الله عليه وآله » يريد أن يعطي القاعدة للناس ؛ ليعرفوا : أن الحكم الإلهي الذي يجريه على كل البشر ، هو أن نفس ترك نصرته المظلوم يستتبع فقدان النصر الإلهي في موضع الحاجة إليه وله هذا الأثر ، بغض النظر عن أية خصوصية أخرى ، فهو « صلى الله عليه وآله » قد استعمل أفضل أسلوب بياني تطبيقي ، يجسد الفكرة للآخرين بصورة حية وواقعية ، ويسهل إدراكها وفهمها على كل الناس^(٦٤). وبهذا التأكيد جاءت الآية الكريمة لتؤكد نصرته المظلوم.

ولهذا جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾^(٦٥). قسم بلام التوكيد لناصره ولم يكن له ناصر سوى أبي طالب والله تعالى إنما ينصر المؤمنين قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٦٦). وفي دلائل النبوة وتاريخ بغداد وتفسير الثعلبي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند وفاة أبي طالب وصلتك رحم وجزيت خيرا كفلتني صغيرا وحصنتني كبيرا وجزيت عني خيرا ثم أقبل على الناس فقال أما والله لأشفعن لعمي شفاعا يعجب لها الثقلان فدعا له وليس للرسول (ص) أن يدعو بعد الموت لكافر قوله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) ولقد كان إبراهيم قال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) ثم قبل الشفاعا له والشفاعة لا تكون إلا لمؤمن قوله (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ثم إنه أمر عليا من بين أولاده الحاضرين بتغسيله وتكفينه و مواراته دون عقيل وطالب ولم يكن من أولاده من آمن في تلك الحال إلا علي وجعفر وكان جعفر في بلاد الحبشة ولو كان كافرا لما أمر ابنه المؤمن بتوليته ولكان الكافر أحق به ومما يدل على إيمان أبي طالب إخلاصه في الوداد لرسول الله والنصرة له بقلبه ولسانه وبده وأمره ولديه عليا وجعفرا ولأخيه حمزة باتباعه وكل ما يدل على أن غيره من أمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمن أو مقرر فإنه موجود فيه ما إن لم يزد على إقرار جميع المسلمين لم ينقص عنه ومن أشعاره الدالة على إيمانه ما يزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصح نبوته منها قوله لبني هاشم شعراً أوصي بنصر النبي الخير مشهده علياً ابني وعم الخير عباساً^(٦٧).

وقال الفيض الكاشاني : من ينصر دينه وأولياءه . وهو إخبار من الله عز وجلّ بظهر الغيب عما سيكون . وقد أنجز وعده ، بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب ، وأكابر أكاسرة العجم وقياصرتهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم^(٦٨).

المطلب الثالث: النصر من حق الإمام الحسين (عليه السلام)

سئل الشيخ المفيد (رحمه الله) عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٦٩).

فقالوا: في هذا النص القرآني تأكيد منه سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين وهذا ابن أمير المؤمنين الحسين الشهيد قتل مظلوما فلم ينصره أحد، والله تعالى غضب لناقاة فأهلك الأرض ومن كان فيها، واستشهد الإمام (عليه السلام) هو وأولاده وأصحابه وسُبي المتبقون منهم فأملى الله لهم ولم يظهر غضبه عليهم.

إن الله تعالى وعد رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالنصر، فأنجز وعده في الدنيا ومنجز لهم وعده في الآخرة. وليس النصر الذي وعدهم به في الدنيا هي الدولة الدنيوية، و الظفر لهم بخصومهم.

هو دليل بالبراهين القاهرة، وقد فعل سبحانه ذلك، فأيد الأنبياء والرسل والحجج من بعدهم بالآيات المعجزات، وأظهرهم على أعدائهم بالحجج، البالغات وخذل أعداءهم بالكشف عما اعتمدوه من الشبهات، وفصحهم بذلك وكشف عن سرائرهم.

وأما المؤمنون فالنصر مخزون لهم، وأعداؤهم مخذولون بالالتجاء إلى الشبهات. فأما ما وعدهم تعالى من النصر في الآخرة، فإنه بالانتقام لهم من الأعداء وحلول عقابه بمن خالف من أعدائهم فإن لهم نار جهنم (٧٠).

وإن حقيقة النصر كسائر الأفعال إنما يتحقق في الخارج تحت أمره تعالى وبارادته وتقديره وبالوسائط المخلوقة منه، فإنه المبدأ لكل فعل، واليه المرجع في كل أمر، وهو القائم على كل نفس، وإن حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وإماراته (٧١). فإن نصر الله عز وجل لا ينقطع عن عباده بالكئية.

الخاتمة وفيها أهم النتائج

نخلص من هذا التقديم لهذا الإيجاز من اسباب النصر في القرآن الكريم التي ما زالت تحتفظ بمكانتها في القرآن الكريم ، وانسجامها مع طبيعة الإعجاز القرآني بما هو حقيقة واقعية في السياق القرآني ، كما إن آراء المفسرين القديمة والحديثة زادت من تأصل هذه النظرية واكتشاف أهدافها من النص المبارك وارتباطاً مع مضمون البحث والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويمكن إجمال نتائج البحث في ما يأتي :-

١ - إن فضل الله سبحانه وتعالى لعباده يتحقق من خلال القرآن الكريم .

٢ - إن النصر حليف المظلوم عاجلاً أم آجلاً.

٣ - تأصيل الإعجاز في القرآن الكريم من خلال أسباب النصر.

٤ - إمكانية قتال الملائكة عيناً مع المؤمنين .

٥ - شموخ الحبيب المصطفى في ميادين القتال كقائد ميداني عظيم.

الهوامش

(١) العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى:

١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٢٠٣/٧-٢٠٤.

(٢) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري

الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: ٤٥٨/١-٤٥٩.

(٣) سنن الدارمي، المؤلف : عبد الله بن الرحمن الدارمي، الوفاة : ٢٥٥، سنة الطبع :

١٣٤٩، المطبعة : مطبعة الحديثة - دمشق، طبع بعناية محمد أحمد دهمان : ٣١١ ١٢.

(٤) الانفال: ٤٠.

(٥) الشورى : ٤١.

(٦) الشورى : ٣٩ .

(٧) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠٨/٧، ولسان العرب، ابن منظور: ٢١٠/٥.

- (٨) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١١٧.
- (٩) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٣٢٥.
- (١٠) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت: ٩٠٩.
- (١١) في ظلال القرآن: ٣٠٨٦/٥ .
- (١٢) التفسير الكاشف: ٦٧/٧.
- (١٣) إبراهيم: ٤٩.
- (١٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي: ٣٠/٣.
- (١٥) في ظلال القرآن: ٣٠٨٦/٥ .
- (١٦) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٨٧/١٥ .
- (١٧) البقرة: ٢٤٩.
- (١٨) آل عمران: ١٣.
- (١٩) الأنفال: ١٠.
- (٢٠) الأنفال: ١٩.
- (٢١) النصر: ١.
- (٢٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٥٨٣.
- (٢٣) الأنفال: ٥ - ١٢.
- (٢٤) الأنفال: ٢٥ - ٢٧.
- (٢٥) التبيان في تفسير القرآن: ٨٤/٥.
- (٢٦) زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني: ١٦/٣.
- (٢٧) - في سيرة ابن هشام: ٤ / ٢٨٠، أنه قاد سبعا وعشرين غزوة، ولم يدرج غزوة بني قينقاع مع غزواته.

- (٢٨) الرسول القائد ، محمود شيت خطاب : ص ٤٣١ - ٤٣٢ .
- (٢٩) الرسول القائد: ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .
- (٣٠) آل عمران : ١١٠ .
- (٣١) آل عمران : ١٥٩ .
- (٣٢) التوبة : ٩٣ .
- (٣٣) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم بن إبراهيم قريبي: ٩١/١ .
- (٣٤) الأنفال: ٦٠ .
- (٣٥) آل عمران: ١٢٤-١٢٥ .
- (٣٦) الأنفال: ١٢ .
- (٣٧) الحين : الهلاك ، وأحنه : أهلكه « القاموس المحيط ٤ / ٢١٩ » .
- (٣٨) الانفال: ١٩ .
- (٣٩) البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني: ٦٥٦/٢ .
- (٤٠) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية: ٤٥٨/٣ .
- (٤١) آل عمران: ١٢٣ .
- (٤٢) الجامع الصحيح المختصر ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ١٤٦٢/٤، رقم: ٣٧٦١ .
- (٤٣) الأنفال : ٤٥-٤٧ .
- (٤٤) قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى،: محمد عبد المقصود جاب الله: ج ٥٣ / ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (٤٥) سُبُلُ السَّلَامِ مِنْ صَحِيحِ سِيرَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،: صالح بن طه عبد الواحد: ١٥ .
- (٤٦) الأنفال: ٩ - ١٠ .
- (٤٧) آل عمران: ١٦٥ .
- (٤٨) المصدر السابق : ١٦ .
- (٤٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٧٦/٥ .
- (٥٠) المصدر السابق: ٣٧٧/٥ .
- (٥١) الأنفال: ٤٣ .

- (٥٢) آل عمران: ١٤٥.
- (٥٣) آل عمران: ١٥٩.
- (٥٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد البغدادي الماوردي: ٧٩-٨٠.
- (٥٥) بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي: ٢٠٧/١٩.
- (٥٦) الأنفال: ٦٣.
- (٥٧) تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٣٥٣/٢.
- (٥٨) الحج: ٣٩.
- (٥٩) الحج: ٦٠.
- (٦٠) القضاء في الفقه الإسلامي، السيد كاظم الحائري: ٤١٥.
- (٦١) البحار: ٧٥ / ٣٥٩ / .
- (٦٢) غرر الحكم: ٢٩٧٧.
- (٦٣) البحار: ١٠٠ / ٩٠ / ٧٥ و ١٧ / ٢٠.
- (٦٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص): السيد جعفر مرتضى العاملي: ٦١/٢١.
- (٦٥) الحج: ٣٩.
- (٦٦) الروم: ٤٧.
- (٦٧) متشابه القرآن ومختلفة، ابن شهر آشوب: ٢: ٦٥.
- (٦٨) زبدة التفاسير: ٤ / ٣٩٩.
- (٦٩) غافر: ٥١.
- (٧٠) تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد: ٤٦٦.
- (٧١) تفسير أبي السعود، أبي السعود: ٨١/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المؤلف : علي بن محمد البغدادي الماوردي، الوفاة : ٤٥٠، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، المطبعة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاءهم - خلفاء، الناشر : توزيع دار التعاون للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة.
- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، المؤلف : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بيروت .
- بحار الأنوار، المؤلف : العلامة المجلسي، الوفاة : ١١١١، تحقيق : عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة : الثانية المصححة، سنة الطبع : ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر : مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- البرهان في تفسير القرآن، المؤلف : السيد هاشم البحراني، الوفاة : ١١٠٧، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم.
- التبيان في تفسير القرآن، المؤلف : الشيخ الطوسي، الوفاة : ٤٦٠، تحقيق : تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : رمضان المبارك ١٤٠٩، المطبعة : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مكتب الإعلام الإسلامي.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المؤلف : الشيخ حسن المصطفوي، سنة الطبع : ١٣٦٠ ش، المطبعة : قم، كاويان، الناشر : ترجمه و نشر كتاب.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى : ٨١٦هـ)، المحقق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة : الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- تفسير أبي السعود، المؤلف : أبي السعود، الوفاة : ٩٥١، المطبعة : دار إحياء التراث العربي - بيروت، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير القرآن المجيد، المؤلف : الشيخ المفيد، الوفاة : ٤١٣، تحقيق : السيد محمد علي، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٢٤ - ١٣٨٢ ش، المطبعة : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلام).

- التفسير الكاشف، المؤلف: محمد جواد مغنية، الوفاة: ١٤٠٠، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: تموز (يوليو) ١٩٨٠، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- تقريب القرآن إلى الأذهان،، السيد محمد الحسيني الشيرازي، الوفاة: ١٤٢٢، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- الرسول القائد، المؤلف: محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: السادسة - ١٤٢٢ هـ .
- زبدة التفاسير ، المؤلف: الملا فتح الله الكاشاني، الوفاة: ٩٨٨، تحقيق: مؤسسة المعارف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣، المطبعة: عترة، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران.
- سُبُل السَّلام من صَحِيح سيرة خَيْر الْأَنَامِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، المؤلف: صالح بن طه عبد الواحد، راجعة وقدم له: فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي، فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة الغرباء، الدار الأثرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ.
- سنن الدارمي، المؤلف: عبد الله بن الرحمن الدارمي، الوفاة: ٢٥٥، سنة الطبع: ١٣٤٩، المطبعة: مطبعة الحديث - دمشق، طبع بعناية محمد أحمد دهمان.
- الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، المؤلف: السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٦ - ١٣٨٥ ش المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر - قم - إيران.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

- القضاء في الفقه الإسلامي، المؤلف: السيد كاظم الحائري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جمادى الثانية ١٤١٥، المطبعة: باقري - قم، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.
- قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى، المؤلف: محمد عبد المقصود جاب الله الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- متشابه القرآن ومختلفة، المؤلف: ابن شهر آشوب، الوفاة: ٥٨٨، سنة الطبع: ١٣٢٨، المطبعة: طبع كتاب، الناشر: مكتبة البوذرجمهري (المصطفوي) بطهران.
- مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.